ثقافة المقاومة في فكر حزب الله اللبناني وأثرها في الصراع مع الكيان الإسرائيلي: دراسة تحليلية

وسام صالح عبد الحسين جاسم
كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع
Wissamsaleh90@yahoo.com

الملخص

يعد حزب الله اللبناني بمشروعه الجهادي الأصيل الحركة الإسلامية الأكثر حضورا على ساحة المواجهة العربية – الإسرائيلية،ولعل أن ذلك يرجع الى طبيعة انجازاته المرتبطة بانتصاراته المتعددة في ساحة الصراع مع الكيان الإسرائيلي فانسحاب عام ٢٠٠٠و انتصار تموز ٢٠٠٦يمثلان الدليل الأبرز على ذلك،لكن تحليل الانتصار كمفهوم يفصح لنا من أن ذلك يرجع أساسا إلى امتلاك الحزب ثقافة تحمل عنوان مقاومة عالج من خلالها حزب الله وبشكل ناجح ظاهرة الاعتداءات المتكررة للكيان الإسرائيلي على لبنان بشكل عام ومنطقة الجنوب بشكل خاص،حتى أضحى الحزب رقما صعبا في حسابات قادة الكيان،لذلك يمكن القول من أن قوة ضربات المقاومة وبسالة وثبات مقاتلوها أثبتت للعالم ان احتراف قوة السلاح وتوظيفه بالشكل الصحيح يمثل الطريق الأسلم لتحقيق الأهداف النبيلة والمتمثلة بالدفاع عن الأرض والحفاظ على الأنفس والأرواح والثروات، لذلك مثلت القيمة الجهادية للحزب محط أنظار الكثير من الحركات الإسلامية الفاعلة على الساحة الدولية فنالها من ذلك الاحترام والتقدير وخاصة في مجال حالة السمو في تحقيق الأهداف المشروعة .

الكلمات المفتاحية : ثقافة ، مقاومة ، حزب الله ، لبنان ، (إسرائيل) .

Abstract

Hezbollah is his project jihadist authentic Islamic movement's most presence on the Square Arab confrontation - Israeli, and perhaps it is due to the nature of his achievements associated with multiple victories in the arena of the conflict with the Israeli entity's withdrawal in 2000 and the July victory of 2006 represent the most prominent on the evidence, but the victory concept analysis disclosed us that this is mainly due to the possession of the party culture of carrying resistant treatment which Hezbollah and successful phenomenon repeated attacks of the Israeli entity on Lebanon in general and the South in particular address, so the party has become a hard number in the entity leaders accounts, so we can say that the force resistance strikes and valor and constancy fighters have proven to the world that the professionalism of the force of arms and employed properly represents the safest way to achieve the noble and of the defense of the land and the preservation of selves and lives and wealth goals, so it represented a jihadist value of the party focus of attention of a lot of actors Islamic movements in the international arena Venalha of that respect and appreciation especially in the area of state Highness in achieving legitimate objectives

Key words: culture, resistance, Hezbollah, Lebanon, (Israel) .

المقدمة:

تمثل المقاومة المسلحة بأسبابها المتعددة أحد أبرز الظواهر التي أنتجتها المجتمعات البشرية المختلفة، ولعل المجتمع الشيعي في جنوب لبنان يأتي في مقدمتها،حيث مثل العمل المقاوم لديه خيارا استراتيجيا منذ القدم، فعلاوة على القيمة العلمية والفكرية والسياسية لسكان هذه المنطقة إلا أن القيمة العسكرية وارتباطها بمفهوم المقاومة كرد فعل طبيعي وشرعي وقانوني تعد الأبرز في هذا المجال ،ذلك أن تزايد حجم الاعتداءات الداخلية

والخارجية بقصد تغيير البنية الديموغرافية وما آلت إليه من سياسات إبادة وقتل وتهجير وتطهير واستبعاد لصالح أطراف أخرى،دفع أبناء هذا المجتمع إلى اعتماد المقاومة كإستراتيجية لأجل المحافظة على الوجود، وهذا الأخير استلزم وعبر حقب تاريخية مختلفة تقديم المزيد من التضحيات بغية ضمانه وديمومته ،لذلك مثلت المقاومة المسلحة بالنسبة لشيعة لبنان ثقافة لأنها ارتبطت بالمحافظة على ارثهم وتراثهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم، فالبعد السوسيولوجي لمفهوم الأرض وأثرها في تنشئة الفرد وديمومة بقائه هو الذي دفع بالمجتمع الشيعي هناك إلى اعتماد المقاومة كأمر واقع ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

فحزب الله اليوم هو الوريث الشرعي لذلك الشعب المقاوم، فقادته ومقاتلوه وأنصاره من مجتمع المقاومة الذي يحتضنهم اليوم إنما يمثل امتدادا تاريخيا وعمقا بشريا للمجتمع نفسه الذي قاتل الصليبيين والمماليك والعثمانيين،وهؤلاء جميعا انصهروا في بوتقة تنظيم سياسي جهادي ذي بعد عقائدي – إسلامي يرى في الكيان الإسرائيلي جسما غريبا وعدوا غاصبا يسعى جاهدا للسيطرة على الأرض اللبنانية، فكان الخيار كما في السابق المقاومة الجهادية كثقافة هي اسلم السبل لتحقيق الأهداف المشروعة ، على هذا الأساس فأن قادة حزب الله جاءوا يؤكدون كما في السابق أن خيار المقاومة يقع في أولوية اهتماماتهم ، وقيمة إستراتيجية لا غنى عنها وواجب مقدس لا يمكن التنازل عنه في مواجهة الاحتلال بأي حال من الأحوال طالما أنه تقع في خانة الجهاد الدفاعي الذي تجيزه القوانين الشرعية والوضعية.

أهمية البحث:تكمن أهمية هذا البحث في تبيان حقيقة المشروع الجهادي الذي يعتمده حزب الله في صراعه مع(إسرائيل)، فالمقاومة ليست مفهوما تحرك من خلاله الحزب في ساحة المواجهات مع الاحتلال فحسب ، وإنما تمثل ثقافة فعل مقاوم توزعت على كافة اهتمامات الحزب النظرية منها والعملية ، حتى أصبحت جزءا أساسيا من حياة الأفراد الذين ينتمون إلى حزب الله،إلا أن الحقيقة توحي بان حزب الله بذل جهدا كبيرا لإبراز القيمة العسكرية لهذا المفهوم وذلك لأهميته في مواجهة الكيان الإسرائيلي،فقوة السلاح أثبتت أن الوسيلة الأفضل في تحقيق كافة الأهداف المرجوة التي انطلق منها حزب الله .

فرضية البحث: يقوم هذا البحث على فرضية قوامها أن ثقافة العمل المقاوم المسلح الذي اتبعه حزب الله في سنوات صراعه مع (إسرائيل)عمل على أحداث شرخا امنيا في مقومات واستراتيجيات منظومة الأمن الإسرائيلية، فقوة ضربات المقاومة وبسالة مقاتليها حققت انتصارات لطالما كانت غائبة عن ساحة الصراع العربي – الإسرائيلي، وهذه الانجازات الممزوجة بقوة الأداء العسكري للحزب أرغمت الكيان الصهيوني على الدخول في تفاهمات مع حكومة لبنان،وكذلك دفعت بقادة الكيان إلى عمل تغيرات هامة في منهج أولوياتهم في المنطقة لاسيما بعد الانسحاب عام ٢٠٠٠،إلى جانب الاعتراف بالعجز وعدم القدرة على تحييد الحزب من خلال إنهائه او نزع سلاحه، فثقافة حمل السلاح و نجاعة خياراته وقوتها جعلت من حزب الله ـ وباعتراف القادة الإسرائيليين ـ رقما صعبا في ساحة المواجهة مما جعله لا يتورطوا معه في حرب غير متوقعة النتائج .

منهجية البحث:اعتمد الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي باعتباره منهجا لا يمكن إغفاله في دراسة الظواهر السياسية، فدراسة ثقافة المقاومة ببعدها العسكري استلزمت قراءة التجربة التاريخية لهذا المفهوم في المجتمع الشيعي اللبناني،ومن ثم معرفة مسار العوامل التي أبرزتها في صيغتها الحالية عند حزب الله،و كذلك تم اعتماد المنهج التحليلي أساسا للدراسة وذلك لأهميته في تحليل أهم جوانب المقاومة والمرتكزات التي قامت عليها وطبيعة الانجازات التي حققتها واثر ذلك على مستقبل الصراع العربي– الإسرائيلي .

هيكلية البحث:إلى جانب المقدمة،توزعت الدراسة على ثلاثة مباحث،فالمبحث الأول تناول في دراسته البعد التاريخي لنشأة وتطور ثقافة المقاومة في الجنوب اللبناني،أما المبحث الثاني فقد تركزت دراسته على بيان أهم المرتكزات التي تقوم عليها ثقافة المقاومة في فكر حزب الله،أما المبحث الثالث فقد تعلقت دراسته بأثر ثقافة المقاومة عند حزب الله في الصراع مع (إسرائيل)،وفي الأخير جاءت الخاتمة لتلخص مضمون الدراسة

تنويه:استخدمت كلمة(إسرائيل) للدلالة على الكيان الصهيوني في أكثر من موضع من البحث ، وذلك حفاظا على روح النصوص المذكورة فيها من جهة ، وتوخيا للدقة العلمية من جهة أخرى ، بيد أن ذلك لا يعني الإقرار بالتسمية او القبول بها،لذلك وضعت بين قوسين

المبحث الأول:البعد ألتأريخي لمسار ثقافة المقاومة في الجنوب اللبناني.

حددت الجغرافيا الطبيعية للبنان مساراته السياسية و الاجتماعية، وما ترتب على ذلك من مسارات أخرى، فلبنان يتكون من سلسلة جبال أطلق عليها اسم جبل لبنان، مع وادي البقاع الداخلي،ومن سهل ساحلي خصب نشأت عليه مدن عديدة، وقد اتخذ الجبل تاريخيا ملاذا لأقليات دينية مسيحية(موارنة) أو (دروز)[١]، أما الجنوب أو جبل عامل فقد استوطنه الشيعة[٢] ويبدو أن تشيع أهل جبل عامل أقدم من تشيع غيرهم ، ويعود تحديدا إلى الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري (رض) وذلك حينما أخرجه معاوية إلى بعض القرى، فوقع في جبل عامل فتشيعوا من ذلك اليوم فظهر أنه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع إلا جماعة من أهل المدينة ألا أن قضية التشيع قد جرت على أهل جبل عامل الكثير من الظلم و لاسيما من جارتها جبل لبنان وذلك من خلال ظلم حكامها و تسلط سكانه على أهل جبل عامل[٣].

يحمل الشيعة اللبنانيون في تاريخهم قبل تكون الدولة اللبنانية حالتين تتداخلان وإحداهما سببا للأخرى وهما المعاناة والثورات،فهم دائما في موقع الاعتراض السياسي كنتيجة طبيعية لاختلافاتهم مع أنماط الحكم المختلفة التي توالت على مناطق وجودهم،وهذا الاختلاف كان يجر عليهم أشكالا مختلفة من الاضطهاد و الاستبعاد فيولد لديهم ذلك شعورا بالظلم ومنه كانت الثورات المتعاقبة و ما تراكمه في تركيبة حياتهم الاجتماعية وتكوين شخصياتهم السياسية[٤] فالسرد القصصي لتاريخ الشيعة في لبنان يشير إلى أنهم كانوا يتمتعون بطبع يميل إلى المحافظة على التشبث بحريتهم و يسارعون إلى حمل السلاح عندما يتم استفزازهم، ونشأ بأس الشيعة من إدراكهم أن قراهم الموجودة بين تلال جبل عامل و سهل البقاع هي ملاذهم الوحيد و فقدانها يعني إبادة محتملة، لذلك دافعوا عنها بشراسة و عزيمة تخالف الانطباع عن الشيعة بأنهم مذعنون[٥] ويؤكد التاريخ انه و أثناء الحملة الصليبية على البلدان العربية ولاسيما القدس سنة١٠٩٩ فأنهم قد واجهوا مقاومة عنيفة من مدن صيدا و صور، كما أن سكان جبل عامل قد شنوا حربا متطاولة مع العدو الغازي و هاجموا مواقعه و قوافله في كل مكان تمكنوا من الوصول إليه، و بلغت المواجهة ذروتها سنة ١١١٣م عندما تمكنوا من مساعدة جيوش إسلامية متحالفة من إنزال هزيمة بالصليبيين، كما أن أبناء جبل عامل اخذوا على عاتقهم مواصلة الحرب ضد الصليبيين و ذلك بمهاجمة القوافل و الأماكن التي يتمكنون من الوصول إليها، وبسبب الهجمات المتكررة و الخطيرة التي قام بها العامليون، ارتأى(هيو دي سانت أومير) احد قادة الصليبيين أن يبني قلعة في أعالي جبل

---

[١]- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ط٢ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٦٩، ص ص ١٢ – ١٤.

[٢]- فايز الريس ، جبل عامل ارض القداسة ، ط١، دار الصفوة للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١١.

[٣]- محمد أمين كوراني ، الجذور الفكرية للمقاومة الإسلامية في جبل عامل ، ط٢، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٥، ص ص ٢٤ – ٢٥ .

[٤]- حسن فضل الله ، حرب الإرادات ، ط٣ ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٩، ص٢٧.

[٥]-نيكولاس بلانفورد ، المارد الشيعي يخرج من القمقم ، ترجمة حسان البستاني و زينة إدريس ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٢ ، ص ١١.

عامل سميت بـ(طورونToron)،التي كانت حصينة جدا و فسيحة الإرجاء فشكلت بموقعها المتميز سببا من أسباب انهيار المنطقة العاملية[١]،أما في عهد المماليك(١٢٨٢ ــ ١٥١٦م) الذين اعتمدوا في علاقاتهم الاجتماعية على أحقادهم ضد الصليبيين،و كان من أثر الصليبيين على المماليك أنهم أوغروا صدورهم بالحقد على الطوائف الإسلامية و لاسيما الشيعة،إذ تميزت سياستهم على محاربة المذاهب الإسلامية غير السنية،و لعل من ابرز ذلك هو المعارك التي حدثت بين أهل كسروان الشيعة وبين المماليك حيث تعرض الكسروانيون إلى العنف و البطش و ذلك وفق فتاوى ابن تيمية في هدر دماء الكسروانيين و هدم بيوتهم و حرق أشجارهم و ذلك بغية إرغام الشيعة هناك في التخلي عن مذهبهم و الدخول في طاعة السلطان المملوكي،فابن تيمية كان يرى أن قتال شيعة أهل كسروان أولى من قتال عدو في دار الإسلام،وشر بقائهم اضر،و بناء على هذه الفتوى قام السلطان المملوكي(آقوش) بتجهيز جيش كبير قوامه(خمسون ألف محارب) برئاسة ابن تيمية و بصحبته(بهاء الدين قراقوش) الذي تحرك على المناطق الكسروانية التي أعلنت تمردها على سلطتهم،و التي سقطت بعد إحدى عشر يوما من القتال[٢] و كان من أهم نتائج المعركة هو إبادة أهلها إبادة تامة،فأحل الأكراد و التركمان محل الشيعة من سكانها ثم انحدر الموارنة من الشمال ليملئوا باقي الفراغ و كذلك الحال في بيروت و جبيل و جزين،وتحصن من استطاع النجاة لدى أهالي جبل عامل أو في البقاع و ذلك نظرا لطبيعتها الجغرافية و اتخاذ أهلهما سبل الاحتياط للمحافظة على وجودهم[٣]

ويؤكد المؤرخون أن سياسة المماليك المتعاقبة ولاسيما في جبل عامل و البقاع كانت تهدف إلى إحداث تغييرات ديموغرافية و إفراغه من نخبه العلمية و القضاء على حياته الفكرية و الثقافية والاقتصادية ، لذلك اتخذ سكان جبل عامل المقاومة كطريق لحماية أنفسهم كون أن هذه المنطقة تمثل آخر الملاذات التي يمكن أن يلجأ إليها الشيعة و إخراجهم منها يعني فناء وجودهم فلا مفر أمام أبنائه في الدفاع عن أنفسهم ، لذلك كان البحث عن القوة واحدا من أهم نتاجات البحث التاريخي و امتلاكها هو السبيل الوحيد للمحافظة على الوجود[٤] و بعد انهيار حكم المماليك في العام ١٥١٦ أمام الأتراك العثمانيين وتكوين الإمبراطورية العثمانية تم تقليص دور شيعة لبنان مرة أخرى كالشيعة الآخرين في الإمبراطورية إلى منزلة الدفاع عن أنفسهم ضد السنة[٥] لذلك كان حال الشيعة في عصر الأتراك اشد وقعا وأعظم أثرا فقد نالوا من أذاهم الشيء الكبير بسبب الفروق المذهبية و التعصب الديني،وبالإجمال فان الشيعة لم ينالهم من الأذى في عهد الصلبين مثلما نالهم في عهد الأتراك المسلمين[٦]. مع ذلك كان العثمانيون مترددين في التورط في نزاع مع الشيعة المتحدين فاكتفوا بصورة عامة بمنحهم حكما ذاتيا ماداموا يتقيدون بواجب جبي الضرائب،ووفقا لأحد المؤرخين كان

---

[١]- رامز رزق ، جبل عامل: تاريخ و أحداث ، ط١ ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٧٤ – ٧٥.

[٢]-محمد أمين كوراني ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥٥ – ٥٧ .

[٣]-حسن فضل الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٧- ٢٨ .

[٤]- حسن فضل الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٧- ٢٨ .

[٥]- يوسف الأغا، حزب الله التاريخ: الأيديولوجي والسياسي، ترجمة نادين نصر الله، ط١،المطبعة بلا، بيروت ،٢٠٠٨ ،ص٢٣

[٦]- محمد أمين كوراني ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٩ – ٧٠.

العثمانيون قبل ستينات القرن الثامن عشر يعتبرون شيعة جبل عامل"فلاحين يعملون بكد، وشعبا جبليا يدافع عن استقلاله بضراوة،وقدم النصح للسلطات المركزية بتركهم وشأنهم مالم يكونوا راغبين في إثارة رد فعل يلي بالتأكيد أي

تدخل في شؤونهم،ولكن مع ترنح السلطة العثمانية عام ١٧٧٥م بسبب تعرضها للهزيمة من قبل روسيا و إغارة الصفويين على مناطق نفوذها الشرقية اتخذ العثمانيون تدابير لكبح جماح الأراضي السورية و الرعايا الشيعة الخارجين عن سيطرتها فعين رجل بوسني عديم الشفقة هو(احمد باشا الجزار)ومنح أي وسيلة متوافرة لديه لسحق ظاهر العمر حاكم عكا و الجليل و حلفائه الشيعة و إعادة السيطرة على سوريا[١].

وبعد مقتل ظاهر العمر في العام نفسه ركز الجزار اهتمامه على الشيعة وشن حملات عقابية على جبل عامل و في العام ١٧٨١م أرسل جيشا قوامه (٣٠٠٠) جندي لمواجهة ناصيف النصار قائد الشيعة الذي هزم العثمانيين في صيدا قبل تسعة أعوام، وانتهت المعركة بمقتل النصار مع ثلث جيشه و استولى الجزار على حصون الشيعة في سبع قرى ممتدة على أعلى تلال جبل عامل،ولجأ شيوخ جبل عامل و قادتهم الى جبل لبنان و البقاع الشمالي[٢] و حتى بعد معاركهم مع احمد الجزار واصل العامليون قتالهم و ذلك على شكل عصابات تهاجم قواته و تثخن في جنده و تقتل عماله في تبنين و هونين و شحور[٣] .

وبعد انهزام الإمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٨م و تفككها حلت الحكومات العربية المؤقتة التي يتزعمها الزعماء العرب محل الحكم العثماني إلا أن هذا الحلم وجد نهايته المبكرة نتيجة لاتفاقية سايكس – بيكو في أيار ١٩١٦م التي قسمت الشرق الأوسط بين البريطانيين والفرنسيين،وهكذا أنشأت فرنسا دولة لبنان الكبير في أيلول١٩٢٠م، فوقف جبل عامل وقفته التاريخية مطالبا بالوحدة العربية ورافضا للاحتلال الفرنسي على المستوى السياسي فيما كانت مجموعات مسلحة تواجهه عسكريا فتخوض ضده حرب عصابات وتحاول أن تمنع استقراره أو ترسيخ احتلاله وكان لهذه الحرب أثرها على الاحتلال الفرنسي الذي حاول إخضاع الجبل بقوة الحديد والنار، إلى جانب ذلك اخذ العامليون يؤازرون جيرانهم الفلسطينيين بانتفاضات وثورات وذلك نتيجة لشروع الاحتلال البريطاني لهدف السيطرة اليهودية على فلسطين، فالشباب العامليون شاركوا في الدفاع عن فلسطين من خلال مشاركتهم كجنود مقاتلين فضلا عن مواقف علمائهم الذين أطلقوا الفتاوى التي تحرم بيع الأراضي لليهود وتحث على جهادهم وقد استمر هذا الحال حتى عام ١٩٤٨م وهو العام الذي أسقطت فيه فلسطين فيما كان نصيب جبل عامل هجمات على قراه واقتطاع بعضها و ضمها لـ(لدولة اليهودية) التي أعلن عن إنشائها[٤].وحينما قامت القوات الإسرائيلية بجلاء الفلسطينيين من مدنهم وقراهم،لجأت أعداد كبير من السكان إلى الجنوب اللبناني،وقد استخدم المقاومون الفلسطينيون الجنوب بديلا عن مدنهم، فكان للوجود الفلسطيني المسلح دورا كبيرا في تنشيط فكرة المقاومة فقد انفتح أبناء الشيعة على الأفكار الثورية التي جاءت بها المنظمات الفلسطينية المسلحة هذا إلى جانب انخراط العديد من عناصر الشيعية في هذه المنظمات والمشاركة العديدة ضد العدو الصهيوني والذي تسارعت اعتداءاته على لبنان وخصوصا في الجنوب والبقاع بعد اتفاقية القاهرة عام ١٩٦٩م التي أقرت للفلسطينيين بممارسة العمل الفدائي ضد (إسرائيل) انطلاقا من الأراضي اللبنانية[٥].

---

[١]– نيكولاس بلانفورد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣.

[٢]–المصدر نفسه ، ص ١٤.

[٣]– محمد أمين كوراني ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١١٧– ١١٨.

[٤]– عدنان السيد حسين ، غزو لبنان في مسار التسوية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٤٣، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٤٧ .

[٥]– كريم بقرداوني ، لعنة وطن ، ط١ ، شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ١٤٩ .

وخلال فترة نهاية الخمسينيات وما بعدها نشطت فكرة المقاومة عند الشيعة وذلك على اثر مجئ الإمام موسى الصدر إلى لبنان والذي اتخذ من مدينة صور قاعدة لنشاطه الديني ومنطلقا لمشروعه السياسي، فعمد الى إقامة التجمعات الجماهيرية و التحرك بين الناس لحثهم على الصمود والتمسك بأرضهم وتامين مستلزمات البقاء، وأخيرا الاستعداد لإنشاء القوى العسكرية المقاتلة التي تتكفل حماية الحدود من دون الاستناد الى ما هو قائم من منظمات فلسطينية أو أحزاب يسارية لاعتقاده بأن إنشاء قوة عسكرية بنيتها التنظيمية تقوم على فكرة المقاومة وتتكون من سكان القرى هو السبيل لإبقائها في حالة استعداد وحضور دائمين لمواجهة أي اعتداء، وكان الإمام الصدر أول علماء الشيعة الذين يباشرون تأسيس خلايا للمقاومة وذلك بغية اتخاذ إجراءات رادعة للاحتلال ضد الجنوب اللبناني[١] و كان الإمام الصدر وبشكل دائم يطالب الحكومة اللبنانية بإخراج اللبنانيين من محنتهم، وكنتيجة لحالة اللامبالاة التي أبدتها الحكومة تجاه مطالب الإمام الصدر ،وكرهه لـ(إسرائيل) و دعمه لحق الفلسطينيين باستعادة وطنهم، فقد اتخذ في أوائل العام ١٩٧٤م قرارا اخذ فيه على عاتقه معالجة الأمور وذلك بدعوته إلى اعتماد النزاع المسلح كوسيلة للدفاع عن الجنوبيين، وفي شباط من العام نفسه أكد أمام تجمع حاشد في قرية بدنايل في البقاع قائلا لأتباعه:(**لا بديل لنا عن الثورة و السلاح**) وأكد بعد شهر من ذلك في بعلبك أن:(**السلاح زينة الرجال**)، و بعد تلك التجمعات الحاشدة شرع الإمام الصدر بتجنيد مقاتلين متطوعين لتشكيل مجموعة جديدة لتكون بمثابة الجناح العسكري لحركة المحرومين ـ التي أسسها في عام ١٩٦٩ ـ لتتولى مهمة الدفاع عن الجنوب ضد(الإسرائيليين) و أطلق عليها اسم "أفواج المقاومة اللبنانية"و المعروفة باللفظة الاوائلية (**أمل**)[٢] وكان الإمام الصدر قد اعترف أن الهدف من وراء تأسيسها هو لمحاربة القمع و فساد الدولة و بهدف الحصول على تمثيل أكثر إنصافا للشيعة فضلا عن إرساء الأمن والأمان في الجنوب فضلا عن إدراك الإمام الصدر للتهديد الذي تسببه إسرائيل والذي جعل من لبنان ولاسيما الجنوب هدفا يوميا لاعتداءاتها[٣] .

وفي ٤١/آذار/١٩٧٨بدأت (إسرائيل) أول اجتياح موسع عرف باسم (عملية الليطاني) بهدف منع صواريخ منظمة التحرير الفلسطينية من بلوغ مستعمراتها الشمالية واعدت حزاما امنيا في جنوب لبنان، في هذا الأثناء اختفى الإمام الصدر في ظروف غامضة في ٣١/آب/١٩٧٨،أصبح الشيعة بحاجة إلى قائد يلجئون إليه ، فكان الفرج من الإمام الخميني الذي استلهم العديد من الشيعة اللبنانيين من أيدلوجيته الثورية التي قادتهم إلى التعبئة والنشاط و النضال في سبيل دور أكثر فاعلية في النظام السياسي اللبناني، ولم تخف قيادات الثورة الإيرانية هدفها من الاتصال مع الجماعات الشيعية في العالم العربي، وكانت قد طورت علاقات وثيقة مع العديد من كوادر حركة أمل[٤]. وعلى اثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام١٩٨٢ الذي نجح في إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وقع حدث سياسي أدى إلى انقسام داخل هيكلية حركة أمل بين المعتدلين،وأولئك الذين يعتمدون مقاربة إسلامية جهادية،وذلك عندما قرر قائد حركة أمل نبيه بري المشاركة في الحكومة اللبنانية عبر الالتحاق بلجنة الإنقاذ الوطني التي شكلها رئيس الجمهورية آنذاك الياس سركيس في منتصف حزيران ١٩٨٢ لمعالجة قضية الاحتلال الإسرائيلي للبنان و حصاره بيروت،هذا الأمر اعتبر من جانب العديد من أعضاء أمل والذين يتبعون عقائد الإمام الخميني الثورية تصرفا غير إسلاميا،على هذا الأساس التحق العديد من هؤلاء الأفراد في صنوف المجموعات الشيعية الإسلامية التي كانت موجودة آنذاك كحزب الدعوة والاتحاد اللبناني للطلبة

---

[١]–حسن فضل الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .

[٢]– نيكولاس بلانفورد ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢١ – ٢٢.

[٣]– يوسف الأغا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢ .

[٤]– المصدر نفسه ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

المسلمين فضلا عن شخصيات إسلامية ناشطة مستقلة و رجال دين والذين أسسوا فيما بعد حزب الله كحركة جهادية إسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي[١] وقد بقي نشاطه سريا حتى عام ١٩٨٥ أفصح فيه عن اسمه علانية و ذلك في (الرسالة المفتوحة) التي أعلن فيها بيانه الرسمي للجمهور بعد العمل العسكري السري النشيط والناجح لسنوات عديدة ، والتي كانت إيذانا عن انخراطه بالعمل السياسي المباشر في الحياة السياسية اللبنانية.ويعود النجاح الذي حققه حزب الله إلى عدة عوامل أهمها،أن المجتمع الشيعي في لبنان كان مهيئا نفسيا و فكريا و عقائديا للتجاوب مع أطروحات الثورة الإسلامية في إيران ،و أن الظروف و الأحداث السياسية و الوطنية و الإقليمية ساعدت على انطلاقه،علاوة على أن قيادة حزب الله اتبعت أسلوبا مميزا في توعية و تعبئة الجمهور الشيعي،فكانت حصيلة ذلك بروز تيار حزب الله الجرف ذات التأثر الوطني و الإقليمي و الدولي[٢].الحقيقة تؤكد أن حزب الله اليوم يمثل أهم لحظات العطاء الكفاحي لمشروع ثقافة المقاومة في جنوب لبنان ، إلا أنه ومع ذلك يختزل تراكما تاريخيا لمشروعية ارث المقاومة التي وجدت في الحزب الولادة الجديدة ، فالمقاومة بحقيقتها سابقة على وجود حزب الله ألا أنها مع الأخير شهدت أخصب لحظات الفكر الشيعي المقاوم في الجنوب اللبناني، فالحزب بذلك أنما يمثل حلقة مكملة لسلسلة تأريخ شعب مقاوم .

المبحث الثاني:مرتكزات ثقافة المقاومة في فكر حزب الله اللبناني.

إن اعتماد حزب الله للعمل المقاوم لم يكن ظرفيا أو حدثا طارئا سببه الاحتلال الإسرائيلي ، وإنما كان نتاجا لعدة عوامل أسهمت كل واحد منها بتنشيطه وعملت بشكل دائم على ديمومته واستمراريته ، فكل عامل منها يمثل مرتكزا أساسيا يغذي المقاومة بأصالته ، فكانت النتيجة(ثقافة) تحمل عنوان(مقاومة) جاءت كردة فعل لحالة الاعتداءات المتكررة على شعب جنوب لبنان ومن ثم أضحت (ثقافة المقاومة) تقليدا وعرفا وقيما تحمل معنى الكرامة و رفض الظلم و الذل لتكون سلوكا شاخصا في مواقف وآراء غالبية أفراد المجتمع الشيعي اللبناني بشكل عام وحزب الله بشكل خاص،لذا فالقراءة الواقعية لهذا النوع من الثقافة في أيديولوجية حزب الله يستلزم البحث في أهم المرتكزات التي تقوم عليها، والتي يمكن أن نلحظها بالآتي:

أولا: المثال الكربلائي ــ الحسيني:لقد كون استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) عند الشيعة نبعا فياضا من الحزن الذي لا ينضب و أرثا فكريا وثوريا لا يهدأ، فمأساة كربلاء في وعي الشيعة ارتبطت ارتباطا وثيقا بتاريخ الشهادة[٣] أما فلسفة المعنى الكربلائي في لبنان فإنها تتجسد بإرادة الإنسان المؤمن الصامد و الرافض للاستكانة والذل ، فإلى جانب الفاجعة التي سببتها (إسرائيل) باعتداءاتها المتكررة ، فلابد من أن يكون في مقابلها معنى الانتصار على الفاجعة و تجاوزها،وذلك انسجاما مع المثل الأعلى الذي سجله الإمام الحسين(عليه السلام) حينما خاطب جيوش الضلال والطغيان وقيادتها:((**لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل و لا اقر لكم إقرار العبيد**))[٤] وبذلك تمكن الشيعة اللبنانيون من توظيف واقعة كربلاء وما جاءت به من قيم الشهادة في سبيل الله ورفض الظلم والذل والحيف في حروبهم مع الجيوش الغازية التي طمعت في السيطرة على أرضهم وخاصة الكيان الإسرائيلي،وهذا ما يمكن ملاحظته في فكر حزب الله،الذي يرى أن انتصار كربلاء ممتد على مدى الزمان والمكان فـ(كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء) شعارا أطلقه الإمام الخميني يريد به القيام ضد الظلم في كل

---

[١]– يوسف الأغا ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٧ – ٤٩ .

[٢]– فضيل أبو النصر، حزب الله : حقائق وأبعاد ، ط١، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٣ – ١٤.

[٣]– د. نجيب نور الدين ، أيدلوجيا الرفض والمقاومة : بحث اجتماعي سياسي في ظاهرة اللائية الشيعية ، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٣٤ .

[٤]–محمد مهدي شمس الدين ، المقاومة في الخطاب الفقهي السياسي ، ط١ ، المؤسسة الدولية للدراسات و النشر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٢

زمان ومكان،فالحسين (عليه السلام) انتصر في لحظة استشهاده ،وهو عظيم بجميع مقاييس النصر،ومحيط بكل أسباب القوة [١]

لذلك فالحزب يدرك تماما أنهم تعلموا من الإمام الحسين (عليه السلام) حب الشهادة في حب الله و عشق الجهاد في سبيل الإسلام،وأدركوا أن عظمة الانجازات التي تحققت بشهادته بعد أجيال من نهضته في كربلاء، وعليه فان المجتمع الذي يتربى على نموذج الإمام الحسين(عليه السلام) وأصحابه(رض) يأخذ مدادا من سلوكهم ويستقل تضحياته أمام تضحياتهم، ويدرك أهمية المواجهة من دون تحقيق النصر العسكري المباشر، ذلك أن الأهداف الكبرى تتطلب مستويات عالية من البذل من دون توقع البدل(٢) لذلك عد حزب الله واقعة كربلاء نموذجا للفكر والعمل،ونجحوا من خلالها في زرع الكثير من الروح الثورية التي جاءت بها هذه الواقعة في نفوس أفراده، فبعض الكلمات التي قالها الإمام الحسين (عليه السلام) و أخته السيدة زينب(عليه السلام) أثناء وبعد القتال يتم استيعابها وتزويدها لأفراد الحزب ومساندية،فهي كلمات تسقط على الواقع الحاضر، فتعد إسرائيل رمز الاستبداد مثل الأمويين، والمقاتلين يعيشون دور الإمام الحسين (عليه السلام) ويعيش مساندوهم وبقية أهالي المجتمع دور السيدة زينب(عليه السلام)[٣] لذلك أيقن الحزب ومن البداية أن كسر المعادلات القائمة والحسابات المادية مع العدو الإسرائيلي لا يكون إلا باللجوء إلى معادلة انتصار الدم على السيف، لهذا اخذت ثقافة الاستشهاد و كربلاء والاقتداء بابي عبد الله الحسين(عليه السلام) حيزا هاما في الأدبيات و المفاهيم التي ركز عليها حزب الله،فهذه الثقافة أثرت كثيرا من مجاهدي حزب الله وأهلهم ونشأت من وعي كبير لطبيعة المهمة التي اختاروها بملء إرادتهم،فهم أيقنوا أن هذا المشروع الذي يحوي كل هذه التضحيات ليس مشروع الموت والقتل بل هو مشروع الانتصار وكسر إرادة العدو وجبروته والشهادة هي إحدى الأدوات الشرعية[٤]

ثانيا:الالتزام المطلق بولاية الفقيه .

يرتبط حزب الله اللبناني بالجمهورية الإسلامية الإيرانية برباط أيدلوجي عقائدي،فالمقاومة تستمد شرعيتها الأساسية من التكليف الشرعي الذي يتولاه الولي الفقيه وهو الامام الخميني الذي أكد أن:((إسرائيل) معتدية و غدة سرطانية يجب اقتلاعها)[٥]، و مما لاشك فيه أن إيران وبمساعدة سوريا لعبت دورا كبيرا في تأسيس و دعم حزب الله ، فعقب الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ قام الامام الخميني بإرسال فرقا من الحرس الثوري لمساندة اللبنانيين في مقاومة الاحتلال(٦) و قد تلقى عناصر الحزب دورات عقائدية وفكرية و عسكرية على أيدي الحرس الثوري[٧] و الحقيقة تؤكد أن حزب الله في سعيه الدؤوب إلى تقوية ارتباطه بإيران لم يتأتى على وفق قاعدة المصلحة السياسية لعلاقات الإطراف فيما بينها، وإنما يرجع بالأساس إلى عامل عقائدي يرى أن الإيمان بالإسلام دينا ورسالة سماوية و الالتزام بخط ولاية الفقيه العامة إنما يشكلان ركنيين إيمانيين للحزب، فالحزب هو احد ثمار نظرية ولاية الفقيه وقد رعى الامام الخميني مسيرة حزب الله منذ أيامها الأولى فمدها بالدعم المادي و المعنوي حتى نمت وترعرعت[٨].

---

[١]- حسن حمادة ، سر الانتصار:قراءة في الخلفية الجهادية لحزب الله ، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٠.

[٢]- نعيم قاسم، حزب الله : المنهج ـ التجربة ـ المستقبل ، ط٦ ، دار الهادي للطباعة ، ٢٠٠٩ ، ص ص ٦١ ـ ٦٢

[٣]- أروى محمود ، قتال حزب الله:الدين في مواجهة (إسرائيل)، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم ، ٢٠٠٨،ص ص ٩٧ـ١٠٠

[٤]- هاشم صفي الدين وآخرون ، الانتصار المقاوم)، ط١ ، المركز الإسلامي للدراسات الفكرية، بيروت ، ٢٠٠٧،ص٥٢ .

[٥]- فايز قزي ، حزب الله: أقنعة لبنانية لولاية إيرانية ، ط١ ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ،٢٠١٣ ، ص١٠٥.

[٦]- د. رفعت سيد احمد ، ثائر من الجنوب ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٣ .

[٧]- نيفين فرحان سلطان دلي ، الفكر و السلوك السياسي لحزب الله اللبناني ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ١٦٢

[٨]- فضيل أبو النصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨- ٥٣.

وحتى وقتنا الحاضر بقي مقام ولاية الفقيه جزءا لا يتجزأ من أسس الحزب الفكرية،فالفكر السائد في حزب الله يعترف بالولي الفقيه نائبا عن الامام الثاني عشر(عليه السلام) أثناء غيبته،وهي بذلك امتداد لولاية النبي(صلى الله عليه واله) والأئمة(عليهم السلام)[١]، لذلك جاء في الرسالة المفتوحة عن تأكيد الحزب الولاء لزعامة الفقيه وذلك من خلال الالتزام بأوامر الامام الخميني كقيادة حكيمة و جامعة للشرائط،كذلك حرص الحزب بعد وفاة الامام الخميني على إعلان ولائه للإمام الخامنئي كونه الأقدر على إعطاء الرأي والفتوى لكل الحركات الإسلامية والجهادية و مدركا لساحات الجهاد و خوض معركة التحدي ضد الاستكبار[٢] بقي ان نعرف أن الصلاحيات التي يمارسها الحزب من قبل الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات والعمل السياسي اليومي بل والجهاد ضد المحتل الإسرائيلي بتفاصيله من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب وهذه الأمور لا حاجة لمتابعة يومية من الولي الفقيه، فإذا واجهت قيادة الحزب قضايا كبرى تشكل منعطفا في الأداء أو تؤثر في قواعد العمل أو تعد مفصلا رئيسا أو تتطلب معرفة الحكم الشرعي فيها عندها تبادر إلى السؤال أو اخذ الأذن لإضفاء الشرعية على الفعل من عدمه[٣]

ومن خلال قوة العامل العقائدي عمدت إيران إلى توطيد علاقتها بالحرب،الأمر الذي دفعها وبشكل متواصل إلى تزويد الحزب بالمال والسلاح والتدريب العسكري والسياسي والأيدلوجي وكذلك المساعدات الاجتماعية التي يقدمها الحزب إلى السكان الشيعة في لبنان[٤] وبالتالي يعد الدعم العسكري من ابرز مقومات هذه العلاقة والذي استمر في كافة المواجهات التي خاضها الحزب مع(إسرائيل) ولاسيما مع وجود القناعة من قبل الطرفين أن الكيان الإسرائيلي غير شرعي إلى جانب الاستمرار في احتلاله لمزارع شبعا التي لايزال تحريرها هدفا منشودا لحزب الله، وهذا الأمر يدخل ضمن نطاق التكليف الشرعي استنادا إلى قرار الولي الفقيه الذي أكد أن مقاومة إسرائيل أمرا وتكليفا شرعيا مما دفع المقاومين إلى الإقبال على الشهادة لأنهم يؤمنون بأن ذلك مبرئ للذمة وسيوصلهم للجنة[٥]

ثالثا:الجهاد في سبيل الله ضد العدو الإسرائيلي:على اثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في ٤ حزيران١٩٨٢ والذي بلغت ضخامته و اتساعه وتفاعلاته حدا غير قابل للتصديق[٦]أعلن حزب الله عن نفسه بأنه حركة جهادية او حزب المقاومة الذي تتمثل وظيفته الأسمى في تحرير الأراضي اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي وبالمقاومة المسلحة، وقد مثل ذلك جوهر اهتماماته السياسية والتنظيمية وبالتالي شكل الملف الثابت والخط الأحمر الذي لا يمكن تخطيه واصفا مقاومته لإسرائيل بأولوية الأولويات[٧] ويرى حزب الله من الناحية الفقهية الإسلامية أن الكيان الإسرائيلي غير شرعي لأنه قام على اغتصاب أراض إسلامية تضم أماكن مقدسة ويترتب على ذلك عدم جواز الاعتراف به والتفاوض والصلح معه ،بل الواجب قتاله وإخراج اليهود المحتلين من فلسطين وسائر الأراضي العربية المحتلة[٨]، لذا يؤكد الحزب بقياداته وإفراده أن إستراتيجية صراعهم مع(إسرائيل) هي معركة حضارية طويلة الأمد متعددة الجبهات وهي معركة ماضي ومستقبل ومعركة المصير، ويبدو أن قضية

---

[١]– د. أمل سعد غريب، حزب الله: الدين والسياسة، ترجمة حسن الحسن ، ط١ ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٩٠، ص ص ١٦٩ – ١٧٠

[٢]–د. غسان فوزي ، شيعة لبنان:العشيرة ـ الحزب ـ الدولة، ط١، معهد المعارف الحكمية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٣٠٥ .

[٣]– نعيم قاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٨.

[٤]– غاي بيخور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦١ – ٦٢

[٥]–د.سليم الياس ، موسوعة المقاومة اللبنانية ، ج٦ ، ط١ ، المركز الثقافي اللبناني للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٧.

[٦]– كريم بقرادوني ، السلام المفقود ، ط١ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٣١١ .

[٧]–د. أمل سعد غريب ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

[٨]– هيثم مزاحم ، حزب الله وإشكالية التوفيق بين الايديولوجيا والواقع ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٥٩ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ص ٦٦.

الاستمرارية في ذلك يعود إلى أن هناك مواثيقا تؤكد أن إسرائيل تطمع في جنوب لبنان وذلك بحسب الخرائط المطبوعة من قبل السلطات الإسرائيلية[١] وبذلك فأن خيار المقاومة مفتوح ولا يخضع للتوازنات السياسية ، وبالتالي لا يمكن الوثوق بأية جهة لتخليصهم من العدوان الإسرائيلي،وان القناعة وصلت الى أن أمر الاحتلال يعالج بالأسلوب الخاص وهو المقاومة [٢]على هذا الأساس يرى الإسرائيليون أن قناعات حزب الله تجاههم عصية على الفهم،لأنه يرى أن صراعه مع(إسرائيل) إنما هو صدام خلفيته دينية وليس هناك إمكانية ـ ولو نظريا ـ لتسويته بشكل مرض بين الطرفين،وذلك لان الحزب يرفض وجود إسرائيل ويعدها جسما غريبا وغاصبا ومحتلا للاماكن المقدسة في القدس لذلك أن الحرب معها واجب ديني[٣]هذا يعني أن حزب الله على وفق ثقافة المقاومة لديه هو انه الطرف الذي فرض على إسرائيل العيش معه على أسس قواعد الحرب المعلنة والمستمرة ، وسيبقى ذلك خيار استراتيجيا طالما بقيت (إسرائيل) محتله لأجزاء من لبنان.

رابعا:التربية الإسلامية الجهادية: يحدد حزب الله دوره وهويته بأنه تيار إيماني مقاوم، فالعنصر الإيماني هو محوري لكل من ينتمي إلى الحزب، فقادة الحزب ومجاهديه هم مسلمون أتقياء قبل أن يكونوا مقاومين [٤] فشعار الجهاد الذي اقترن أساسا بتأسيس الحزب،دفعهم إلى الاهتمام بالتربية الجهادية في سنوات التأسيس الأولى وقد بلغ حجم الاهتمام بها إلى رفض توصيف حزب الله بأي وصف غير الحركة الجهادية،وذلك للتأكيد على أهمية الجهاد وتثبيته في خط الحزب[٥] وقد أثرت الدورات التعبوية تأثيرا كبيرا في مسالة التربية الجهادية، بحيث أصبح المنتسب إلى التنظيم يخضع لدورات ثقافية عبر مراحل متدرجة فضلا عن إعداده عسكريا في معسكرات التدريب التي خصصت لهذا المجال[٦] لقد هدفت هذه الدورات إلى إعداد جيل عريض من الشباب إذ أصبح الحزب بفضلها يمتلك مخزونا عقائديا و فكريا يؤهله للالتزام بأوامر القيادة في مختلف الظروف واشد الصعاب، وليس في حزب الله من منتسب إلى أي إطار او أي موقع تنظيمي إلا ويكون مقاتلا في صفوف المقاومة[٧] وقد ارتبطت التربية الجهادية لإفراد حزب الله بالرمزية الشيعية فقد استخدم الحزب رموز(كربلاء،وعاشوراء وشهادة الامام الحسين(عليه السلام)وحروب النبي(صلى الله عليه واله) والإمام علي(عليه السلام) وغيرها، وتعد واقعة كربلاء دائمة الحضور في ذهنية المقاتل في حزب الله، فالمفهوم التاريخي للشهادة استمد منها والذي يتضمن التضحية والإيثار والارتباط العميق بالمفهوم الحسيني وهذا بدوره يشجع على الجهاد والشهادة[٨]

وبذلك مثلت التعبئة التربوية جزءا من الممارسة الثقافية للمذهب الشيعي وطريقة لإحياء الرواية الأمامية وإعادة بثها وإنعاشها، فالمقاتل في الحزب ليس مجرد خريج دورة عسكرية وإنما حامل لثقافة الحوزات الدينية وعقيدة يتسامى به وتجعله يتماهى تماهيا مع النماذج التي خبرها عبر قراءاته وهو ملخص استثنائي للمقاتل العقائدي الذي يتقن تفاصيل قضيته و ينطلق عن علم من اجل التغيير[٩] لذلك كان التكوين العسكري لمقاتل

---

[١] –محمد فينش وآخرون ،المقاومة والمجتمع المقاوم : قراءات في مسيرة الامام الصدر، ط١،مركز الامام الصدر للأبحاث والدراسات،بيروت،٢٠٠١، ص ٢٩ – ٩٣ .

[٢] –محمد مهدي شمس الدين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٨ .

[٣] – غاي بيخور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٠–٦١ .

[٤] – فضيل أبو النضر ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٦ – ١٧ .

[٥] – نعيم قاسم ، مجتمع المقاومة ، ط٢ ، دار المعارف الحكمية ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ص ٧٥ – ٧٧ .

[٦] – د. غسان فوزي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٢ .

[٧] – د. عبد الإله بلقزيز، حزب الله من التحرير إلى الردع ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦، ص٥٥ .

[٨] –د. مسعود أسد اللهي ، الإسلاميون في مجتمع تعددي:حزب الله في لبنان أنموذجا ، ترجمة د. دلال عباس ، ط١ ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ص ٣٥– ٣٦ .

[٩] – رفقة نبيل مطلق ، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٩ ، ص ٧٩.

حزب الله متطورا وعقلانيا وذا نجاعة وفعالية وكانت البندقية والكاتيوشا ناجحة في إيذاء العدو استنزاف قواه، غير أن التدريب على القتال ما كان افعل من التثقيف والتربية، كما لم تكن طلقة البندقية والكاتيوشا أقوى من نداء الامام الحسين(عليه السلام) [١] وقد تيقن الحزب أن استمرارية نهج المقاومة يتطلب وجود مجتمع مقاومة وليس جماعة مقاومة ، لان الأول يحمل معنى الاستمرارية أما الثانية فيكون أداؤها ظرفي، فالفرد في حزب الله هو جزء من المقاومة وجزءا من المشروع المجتمعي العام و جزءا من علامات الانتصار[٢] وهذا المجتمع سيمد جماعة المقاومة بكل أسباب الحياة والدعم،فالمقاومة لم تنشأ من فراغ بل ساندتها شريحة عريضة من المواطنين المسلمين المؤمنين وغير المسلمين داخل لبنان [٣] لذلك ايقن الحزب أن المورد البشري من مجتمع المقاومة هو أساس وجوده واللازم لبقائه واستمراريته، التي كلما تراكم عليها البناء أصبح أكثر قدرة على إنتاج قادة ومقاومين أفذاذ قادرين على المواجهة والصمود .

خامسا: القضاء على الحرمان السياسي وتحقيق العدالة الاجتماعية

يرى عالم الاجتماع السياسي الأمريكي(تيد روبرت غر) أن الحرمان يؤدي إلى الإحباط ، والأخير يؤدي إلى الغضب والغضب يمكن أن يؤدي بدوره إلى السلوك السياسي العنفي[٤] هذا الأمر يتوافق بحقيقته مع وضع شيعة لبنان فقراءة تأريخهم أكدت أنهم كانوا مهمشين اجتماعيا وسياسيا على صعيد الدولة اللبنانية ومحرومين معيشيا وحياتيا و مهملين من قبل الطوائف الأخرى، فحتى المدة ما قبل أواخر الخمسينيات كانت الطوائف المسيحية والسنية والدرزية تتطور وتتقدم، بينما كانت الأكثرية من الشيعة تعاني من تخلف مطبق وترزح تحت كابوس الفقر والجهل والمرض، ومما زاد من بؤسهم هو نزوح الكثير منهم من الريف إلى العاصمة فعاشوا في ضواحي بيروت في ظروف تعيسة[٥]فضلا عن ذلك فقد كان وضعهم ليس على قدر عالي من التعليم ومعظمهم مزارعون ويعيشون في مناطق لا تحوي مدارس او مراكز للرعاية الصحية ولا طرقا ممهدة او خدمات أولية والذين ينزحون إلى بيروت يعيشون في مساكن ومناطق عشوائية[٦] هذا الموقف أضفى على الشيعة بعدا راديكاليا بغية الحصول على أهداف وغايات محددة،فالشيعة وعلى مختلف درجات التزامهم كانوا يسعون لأن يتم الاعتراف بهم اجتماعيا وسياسيا بنسبة ماهم ديموغرافيا،وبالتالي أضحت الروح القتالية القائمة على أساس الإرادة الصلبة موجودة في مختلف التنظيمات السياسية الشيعية لأجل الخروج من وضعهم كطائفة من الدرجة الثانية[٧]هذا الأمر انسحب حتى على حركة أمل والتي كان يبغي من ورائها الامام موسى الصدر أن تكون تنظيما سياسيا للمحرومين ، إلا أنها اتخذت فيما بعد بعدا عسكريا مع بدء الحرب الأهلية عام١٩٧٥وما بعدها تحولت هذه الحركة نحو مواجهة الاتجاهات والخيارات السياسية العامة للنظام اللبناني ولاسيما فيما يتعلق بالجنوب اللبناني والذي كان يعاني من التهديدات الإسرائيلية ومن إهمال النظام اللبناني له[٨]

أما حزب الله فقد استطاع توظيف سيكولوجية الممانعة الشيعية التي تولدت لديهم تاريخيا نتيجة لمقاومة قوى السلطة الحاكمة التي مارست عليهم سيطرة ممزوجة بالإفقار والألم ولسنوات طويلة ، التي تمظهرت بعصبية

---

[١]- د. عبد الإله بلقزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٥.

[٢]- نعيم قاسم ، مجتمع المقاومة ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨- ١٠ .

[٣]- فضيل أبو النصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ .

[٤]- نقلا عن د. مسعود أسد اللهي ، مصدر سبق ذكره ،ص ٣٠٠ .

[٥]- فضيل أبو النصر ، المصدر نفسه ، ص ١٢ .

[٦]- ادوارد ب.دجيريجيان، الخطر والفرصة، ترجمة د.السيد عليوة ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ،٢٠٠٩، ص ٩٢

[٧]- فرانسوا توتال ، الشيعة في العالم ، ترجمة نسيب عون ، ط١، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ،ص ص ١٥٨- ١٥٩

[٨]- حسين أبو رضا ، التربية الحزبية الإسلامية : حزب الله نموذجا ، ط١، دار الأمير للثقافة ، بيروت ، ٢٠١٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.

الممانعة الدائمة لكل إشكال الظلم والاستبداد والسيطرة والاحتلال[١] وقد أثر هذا الأمر تأثيرا كبيرا في توجه حزب الله الراديكالي ولاسيما وأن معظم قادته وكوادره وأعضائه هم من مواليد المناطق التي يخيم عليها الفقر والحرمان الاجتماعي والاقتصادي،وقد أعطى الحزب قيمة لذلك في رسالته المفتوحة فقد أشار إلى موضوع الفقر والظلم الاجتماعي في حملته على النظام الرأسمالي الغربي[٢] و انه أكد ذلك في مؤتمره الثاني الذي عقد في بداية العام١٩٩٢مؤكدا أن تحقيق العدالة والإنصاف للفئات المهمشة والمحرومة يعمل على تحرير الأرض طالما أن ذلك يؤدي إلى تحرير الإنسان[٣]وهذا الأمر مثل مرتكزا لحزب الله من زاوية شرعية هو أنهم يكونوا إلى جانب المظلوم على قاعدة كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا، فهم إلى جانب الفقراء والمحرومين ليكونوا في خدمتهم من الموقع الإنساني والديني،أضف إلى ذلك إن تلك المطالب تدخل ضمن فكرة أن النهج المقاوم للحزب قام على أكتاف هؤلاء المستضعفين وان معظم الشهداء هم من أبناء المحرومين،لذا فان المسؤولية أمام الحزب تكون مضاعفة وأكثر لزاما[٤] مما تقدم يمكن القول إن هذه المرتكزات ساعدت بمجملها في تنمية وتطور مفهوم المقاومة في فكر حزب الله وجعلت منها ثقافة ذات بعد اجتماعي،فهي بذلك تمثل حالة اجتماعية متجذرة عند المقاومين ومجتمع المقاومة بحيث أصبحت جزءا من حياتهم الذي يرتبط بها مصيرهم فهي بذلك قناعة راسخة، ترتبط أولويتها بالوطن الذي يعيشون فيه ومن خلالها يتم التصدي لحالة الاعتداءات المتكررة، فأضحت بذلك واجبا مقدسا مدعوم برؤى عقائدية من الشرع الإسلامي المقدس ومبدأها إما النصر او الشهادة.

المبحث الثالث:اثر ثقافة المقاومة عند حزب الله في الصراع مع الكيان الإسرائيلي

حدد حزب الله موقفه من (إسرائيل) في الرسالة المفتوحة في ١٦شباط/١٩٨٥م انطلاقا من:((من فهم عقائدي و تاريخي ومؤداه أن هذا الكيان الصهيوني عدواني في نشأته و تكوينه وقائم على ارض مغصوبة و على حساب حقوق شعب مسلم)) و تؤكد الرسالة انه:((تجب محاربة (إسرائيل) حتى يعود الحق المغصوب إلى أهله)) و يزول هذا الكيان من الوجود ، معتبرة أن الحزب لا يعترف بأي:((اتفاق إطلاق نار أو أية هدنة او معاهدة سلام معه)) وانه يدين كل مشاريع التسوية السلمية التي تتضمن اعترافا بـ(إسرائيل) و تقبل مقايضة الأرض بالسلام[٥]، هذا يعني أن حالة الحرب التي أعلنها حزب الله منذ بداية نشأته لا تزال سارية مستقبلا في إطار تعاملاته مع الكيان الإسرائيلي، ويبدو أن طبيعة العدوان التي قامت عليها(إسرائيل) باغتصاب واستيلاء أراضي الغير وبالقوة وما يخلفه ذلك الأمر من تهجير و تدمير وتغيير معالم وغير ذلك هي التي دفعت بحزب الله إلى إتباع إستراتيجية الحرب ضدها وفق ثقافة العمل المقاوم، على هذا الأساس بنيت توجهات الحزب السياسية منها والعسكرية تجاه الكيان الإسرائيلي وعلى وفق ايدولوجية تؤمن أن الخيار المسلح هو افضل السبل لانتزاع الحقوق المسلوبة .

فمنذ تأسيسه عام ١٩٨٢ مرورا بعقد الثمانينيات مثل إتقان مزاولة حزب الله للعنف السياسي ضد (إسرائيل) عاملا جوهريا وأساسيا في تحوله السريع من مليشيا ثورية صغيرة إلى قوة عسكرية اجتماعية رئيسية[٦]، فقد نفذ الحزب خلال هذه الفترة سلسلة طويلة من العمليات ضد الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي العميل

---

[١]-محمد مراد، تطور الخيارات السياسية عند الشيعة: منذ نشأة الدولة اللبنانية حتى اليوم ، مجلة شؤون الأوسط ،العدد ١٣٢ ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص١٦٦.

[٢]- د. مسعود أسد اللهي ، ص ص ٣٠٠-٣٠٢ .

[٣]- رفقة نبيل مطلق ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٦ .

[٤]- هاشم صفي الدين مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦ .

[٥]- هيثم مزاحم ، أي مشروع سياسي لحزب الله بعد التسوية ، مجلة شؤون الأوسط ، العددان٩٦- ٩٧ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠٠، ص ٤٧.

[٦]- ماغنوس رانستوب ، الوجه المتغير لحزب الله اللبناني ، مجلة شؤون الأوسط ، العددان ٩٦ – ٩٧، المصدر نفسه ،ص٣٧ .

لـه،وذلك بشكل هجمات برية و إطلاق قذائف (آر بي جي) و عمليات استشهادية و أخرى بحرية و عمليات اختطاف جنود[١] و على اثر تصاعد عمليات المقاومة،ولاسيما العمليات الاستشهادية عزمت الحكومة الإسرائيلية برئاسة شمعون بيريز على إنهاء تورطها في لبنان و جلاء قواتها،و من ثم أجبرت على الانسحاب في عام ١٩٨٥ من بيروت و الجبل و معظم الجنوب و البقاع الغربي إلى المنطقة التي سمتها الحزام الأمني[٢] و هذه الأخيرة إنما هي إستراتيجية عسكرية اتبعتها الحكومة الإسرائيلية في جنوب لبنان والتي تتحدد بأن احتلال أراضي الآخرين هي شرط جوهري لخلق الأمن لكيانها الاستيطاني[٣] و يبدو أن هذه المنطقة تشمل الشريط اللبناني المحتل حتى الحدود الفاصلة بين لبنان وفلسطين المحتلة،أما حزب الله من جانبه فأن عملياته العسكرية أخذت بالتصاعد يوما بعد يوم،و خلال عقد التسعينيات صعد حزب الله من هجماته العسكرية، فقد ازداد عدد العمليات من ٩٩ عملية في العام ١٩٩١ إلى أكثر من ٧٥٠ عملية في العام ١٩٩٦[٤]

و نظرا لتزايد حجم وكفاءة العمليات العسكرية لحزب الله في منطقة الشريط الحدودي أقدمت القوات الإسرائيلية، في ٢٥/تموز/١٩٩٣ على عملية عسكرية تحت اسم(تصفية الحساب) دمرت فيها العديد من المرافق الحيوية وهجرت مئات الألوف من سكان الجنوب اللبناني ،أما أفراد حزب الله فقد تعاظمت عملياتهم أكثر ضد جنود الاحتلال حتى توقف إطلاق النار بعد مداخلات دولية ومساع عربية أفضت إلى (تفاهم تموز)[٥]

إن استبسال الحزب بهذه الحرب جعله رقما صعبا في حسابات القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية، هذا الأمر اتضحت جديته عندما أقدمت (إسرائيل) على قصف المدنيين اللبنانيين خارقة بذلك تفاهم تموز عام١٩٩٣،ولإثبات صدقيته بالعمل المقاوم أقدم الحزب على إطلاق دفعة من الصواريخ على المستوطنات اليهودية في فلسطين المحتلة ، وكما يبدو أن هذه العملية أثارت قلقا في صفوف القيادة العسكرية الإسرائيلية، التي عملت على تكثيف الجهود لتنفيذ عملية عسكرية واسعة[٦] وفي ١١/نيسان/١٩٩٦ أقدمت قواتها على تنفيذ العملية تحت مسمى(عناقيد الغضب) وكان هدف العملية هو تغيير قواعد اللعبة في جنوب لبنان ولإيقاف إطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال فلسطين المحتلة ونزع المبادرة من يدي المقاومة[٧] ، وقد توزعت نيران الصواريخ و القذائف من الجو و البر والبحر،على البلدات و القرى الممتدة من أطراف الجنوب المواجهة للمنطقة المحتلة حتى الداخل اللبناني،وقد راهن قادة الكيان على أن يفقد مقاتلو حزب الله القدرة و المبادرة في الأسبوع الأول لكن الرد كان قاسيا و غير تقليدي،فقد اتبعت قيادة المقاومة تكتيكا يقضي بتغيير المرابض القديمة و نشر مرابض جديدة على طول خط المواجهة، مما أمن سعة انتشار لنيران المقاومة[٨]

هذا الأمر دفع العديد من الدول إلى أن تتدخل لوقف إطلاق النار بين الجانبين فقد دخلت سوريا و الولايات المتحدة و فرنسا فضلا عن إلى إيران وروسيا الذي أدى إلى توقيع تفاهم نيسان بعد سبعة عشر يوما من

---

[١]– غاي بيخور ، منظمات (التخريب) العاملة ضد (إسرائيل) : دراسة إسرائيلية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٦ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت، ١٩٩٣، ص ٦٢.

[٢]– هيثم مزاحم ، أي مشروع سياسي لحزب الله بعد التسوية، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩.

[٣]–د.عواطف عبد الرحمن و آخرون ، صورة المقاومة في الإعلام:حزب الله و تحرير لبنان ، ط١ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ١٨٧.

[٤]– ماغنوس رانستوب ، المصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٧ –٣٨ .

[٥]– طلال سلمان ،صورة المقاومة في الإعلام حزب الله و تحرير لبنان) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣– ٣٣ .

[٦]– هاني عبد الله ، عملية عناقيد الغضب:خلفيات التصعيد الإسرائيلي ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٥١ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ،١٩٩٦ ، ص ١٧.

[٧]– حسن محمود قبيسي ، الانحدار والاندحار ، ج١، ط١، مؤسسة العروة الوثقى للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص٦٨.

[٨]– د. باسمة زين العابدين ، فخامة المقاوم: الرئيس إميل لحود ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ،٢٠١٠، ص ص ١٥٩– ١٦٠ .

القتال[١] وكانت نتيجته هو توصل المشاركون إلى وقف العمليات العسكرية ضد المدنيين على طرفي الحدود، أي لا قصف إسرائيلي ضد أهداف مدنية لبنانية ولا كاتيوشا ضد المستوطنات[٢] بعد هذا الاتفاق الذي تم التوصل إليه في١٩٩٦/٤/٢٦خرجت المقاومة أقوى من السابق لعدة أسباب رئيسة:

١- اقتناع القيادات الإسرائيلية بأنهم غير قادريين على تحقيق نصر نهائي على حزب الله و تدمير منظومته العسكرية بشكل عام والصاروخية بشكل خاص،فقد أكدت القيادات العسكرية أن محاولة ضرب حزب الله تحتاج إلى ثمن عسكري باهظ لم يتقرر دفعة بعد وهي مهمة غير ممكنة التحقيق، أما رئيس وزراء سلطة الاحتلال فقد أكد عدم قدرة جيشه على هزم حزب الله ((أنها محاولة من يريد أن يأكل حساء بالشوكة))[٣]

٢- مثل تفاهم نيسان ١٩٩٦- ومن قبله تفاهم تموز ١٩٩٣- انتصارا كبيرا لحزب الله،فصياغته تمت بمشاركة أطراف دولية مؤثرة في القرار الدولي و الإقليمي، وهذا يمثل تجسيدا للاعتراف الدولي بشرعيته وبكونه قوة مهمة في معادلة الصراع في المنطقة .

٣. دعم حكومة وشعب لبنان لخيار المقاومة التي يجسدها حزب الله في عملياته العسكرية ضد كيان الاحتلال وهذا بخلاف ما راهنت عليه حكومة كيان الاحتلال التي عولت على ضرباتها العسكرية و تهجير السكان في أن يدفع الحكومة اللبنانية إلى الضغط على حزب الله لنزع سلاحه ، لكن ألذي حصل بخلاف ذلك، فقد أكدت أن من حق الشعب اللبناني مقاومة الاحتلال بشتى الوسائل المتاحة وان استتباب الأمن على الحدود اللبنانية – الإسرائيلية رهين بانسحاب قوات الاحتلال من الأراضي اللبنانية.

٤ـ إخفاق الطرفين الإسرائيلي و الأمريكي في تضمين اتفاق نيسان ١٩٩٦مبدأ يحظر على حزب الله مواصلة نشاطاته العسكرية ضد القوات الإسرائيلية وعملائها في الشريط الحدودي المحتل ، وهنا إشارة ضمنية لحق المقاومة في ضرب القوات الإسرائيلية داخل هذه المنطقة[٤] وهذا يتوافق أساسا مع ما تضمنه التفاهم في الفقرة الرابعة التي تناولت حق الدفاع عن النفس[٥]، وهنا يحق لحزب الله الدفاع عن حق الشعب اللبناني طالما أن إسرائيل هي التي تبدأ بالاعتداء بحجة حفظ الأمن.

٥ـ اقتنع القادة الإسرائيليون أن نتائج عمليتي تصفية الحساب١٩٩٣وعناقيد الغضب١٩٩٦كانتا بمثابة نوع من الردع المتبادل والتهدئة الجزئيية والتعادل الحاصل نتيجة للصراع بين(دولة) إقليمية كبرى مثل(إسرائيل) وبين حركة تحرير كحزب الله ، وهذا يمثل خسارة للأولى وانتصارا للثانية[٦].

هذه الأسباب دفعت بحزب الله إلى زيادة عملياته العسكرية والتي شهدت تطورا كبيرا من حيث نوعيتها و عددها، ففي عام ١٩٩٧ نفذ مقاتلو حزب الله(٧٨٦) عملية عسكرية تراوحت مابين القصف الصاروخي و المدفعي،وفي العام ١٩٩٨وصلت إلى(١١٦٣) عملية عسكرية، أما في عام ١٩٩٩ أظهرت المقاومة ـ براعة في عملياتها العسكرية ــ حيث اخترقت حرم التدابير الأمنية العسكرية وحرم تكنولوجيا المراقبة المتطورة للعدو الصهيوني وقد وصلت العمليات إلى الحدود الفاصلة بين لبنان وفلسطين المحتلة ، ولعل أن من أهمها العملية الاستشهادية قرب مرجعيون والتي اعترف بها

---

[١]-محجوب عمر ، طلعت رميح ، الحرب الإسرائيلية في لبنان:حرب قديمة في طريق جديد ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٥١ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩

[٢]- طلال سلمان، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤.

[٣]- محجوب عمر ، طلعت رميح ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠

[٤]- هاني عبد الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ص٢٧- ٢٩ .

[٥]- أمين مصطفى ، المقاومة في لبنان(١٩٤٨ – ٢٠٠٠) ، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٩٥.

[٦]- إحسان مرتضى، العجز الاستراتيجي الإسرائيلي والانسحاب من جنوب لبنان ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٦٧، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٦

العدو بوقع المصاب و بخطورة الحدث القريب من الحدود الفاصلة و الاعتراف بالأداء الرفيع للمقاومين والذي أكده قائد الارتباط الجنرال(ايرز غير شتاين) والذي اغتالته المقاومة في ١٩٩٩/٢/٢٨ مع سائقه وضابط الاتصال ومراسل الإذاعة الإسرائيلية ، وقد مثل ذلك ضربة قاضية للعدو حيث تركت آثارا هامة وتصدعا في صورة الجيش الذي لا يقهر[١] لقد أدى استمرار العمليات وتصاعدها من جانب حزب الله واعتراف القادة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين بعجزهم عن تدمير المقاومة والتخلص منها الى حدوث نقاش جدي في(إسرائيل) يحصل لأول مرة في تاريخ احتلالها لأرض عربية حول جدوى البقاء في جنوب لبنان في مقابل هذا الثمن من الخسائر النادية والمعنوية التي لحقت بجيشها و بصورتها الأسطورية[٢] على اثر ذلك خرجت مظاهرات احتجاج متواصلة من جانب أمهات الجنود الإسرائيليين الذين يخدمون في لبنان معبرات عن حالة عدم رغبة واقتناع بذلك،و كانت هناك دعوات صريحة من رجال متطرفين مثل ارئيل شارون للانسحاب دون قيد أو شرط أو اتفاق إلى الحدود الدولية[٣]

و نتيجة لذلك عمد رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود باراك إلى التعهد بسحب قواته من لبنان في تموز عام٢٠٠٠ وتم تنفيذ الوعد في أيار عام ٢٠٠٠ الذي كان انسحابا أحادي الجانب وغير مشروط[٤] إذ تم الانسحاب قبل الموعد بشهرين من دون أية ترتيبات أمنية أو مفاوضات او اتفاق سلام ، وهذا ما يمثل سابقة خطيرة في الصراع العربي – الإسرائيلي لجانب (إسرائيل) ونصرا كبيرا لحزب الله .

مع ذلك فقد عد حزب الله أن انسحاب عام ٢٠٠٠ ليس كاملا نظرا لاستمرار الاحتلال لمزارع شبعا اللبنانية وليس أمام(إسرائيل) إلا الانسحاب منها كما فعلت في مناطق الجنوب الأخرى[٥] لذلك عمد الحزب إلى تكثيف التحضيرات و التجهيزات في منظومته العسكرية تحسبا لأيام القتال اللاحقة مع كيان الاحتلال، فكان يحصن و يتعد ويتسلح و يتدرب ليكون قادرا ليس على التصدي فحسب بل وعلى الهجوم المضاد أيضا،و تم ذلك بمساعدة إيران التي أمدت الحزب بالسلاح والمال وتدريب عناصره على الطرق القتالية واستعمال المعدات الحربية الحديثة هذا إلى جانب الدعم السوري،وقد تحول حزب الله بعد مدة قصيرة إلى تنظيما عسكريا قويا مجهزا بأحدث الأسلحة والتقنيات العسكرية و مدربا تدريبا يفوق تدريب القوى النظامية في كثير من الدول المتطورة واثبت ذلك في حزب تموز[٦] فقد اثبتت فاعليته العسكرية حينما أقدمت(إسرائيل) على في ١٢/تموز/٢٠٠٦ على شن عملية عسكرية شاملة على حزب الله بحجة تحرير الأسيرين اللذين اختطفهما الحزب في عملية نوعية قل نظيرها،وقد أكدت المصادر الإسرائيلية أن قياداتهم قد خططوا لهذه الحرب منذ عدة سنوات، وذلك بعد أن اكتشفوا الخسائر الفادحة التي نجمت عن الانسحاب الأحادي المذل عام٢٠٠٠، وان توقيت القيام بها لأجل اقتلاع جذور حزب الله سيكون متزامنا مع أي حادث عابر على الحدود[٧]

وكما يبدو أن العملية البطولية لأسر الجنديين كان بمثابة الفرصة السانحة لشن العملية ففي يوم الأسر نفسه، قرر الاحتلال الإسرائيلي شن حرب لا هوادة فيها ضد حزب الله وذلك لسحق قدراته العسكرية و "تنظيف"

---

[١] – د.عباس مزنر ،صورة المقاومة في الإعلام:حزب الله و تحرير لبنان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨٤– ١٠٠

[٢] –طلال عتريسي ، عوامل انتصار المقاومة الإسلامية ، مجلة شؤون الأوسط ، العددان ٩٦–٩٧ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤

[٣] –إحسان مرتضى ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٣ — ٣٤.

[٤] – هيثم مزاحم ، أي مشروع سياسي لحزب الله بعد التسوية ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥١ — ٥٢ .

[٥] –حسن أبو طالب ، حزب الله وإشكاليات ما بعد التحرير، مجلة شؤون الأوسط، العددان ٩٦–٩٧ ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢–١٣.

[٦] – د.فوزي زيدان ، الدولة الرهينة ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

[٧] – احمد أبو هدية ، الرؤية الإسرائيلية للحرب على لبنان ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٢٣، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٥١ .

الجنوب اللبناني من تواجده واستهداف شخصيات بارزة فيه و تدمير بناه التحتية[١] وكان هدف هذه الحرب وفق الرؤية الإسرائيلية هو تحرير الجنديين دون شرط،و دفع صواريخ المقاومة إلى ما بعد نهر الليطاني لإبعاد أثرها على المستعمرات،و تدمير الجسم العسكري لحزب الله[٢]

وعلى الرغم من فداحة الضربات الإسرائيلية و فضاعتها، إلا أن الحزب اثبت فاعليته العسكرية فيها فطوال القصف الإسرائيلي المستمر بقيت قوة وقدرة المقاومة على استمرارها في إطلاق الصواريخ على شمال الكيان، فإلى جانب فاعلية القدرات العسكرية للحزب هذه الحرب ، إلا أن الترسانة الصاروخية بمختلف أنواعها و مدياتها لعبت الدور الأكبر ومنذ بداية الحرب أطلق الحزب أكثر من (٣٠٠٠-٤٠٠٠) صاروخا على(إسرائيل)،وبذلك فشلت الحرب في تحقيق أهدافها إلى جانب فشل الإسرائيليين الذين عولوا على ضرباتهم في توحيد اللبنانيين ضد حزب الله بل على العكس فان القصف عمل على توحيد اللبنانيين ضد الإسرائيليين[٣] من كل ما تقدم يتبين لنا أن حزب الله ومن خلال أداء العمل العسكري الذي قام به طوال ثلاثة عقود عمل على مصداقية أن (إسرائيل) بكل قوتها وجبروتها هي أوهن من بيت العنكبوت ، وعليه فأن القراءة الموضوعية لواقع الصراع بين حزب الله والكيان الإسرائيلي نتجت عنه جملة من الآثار والتي انعكست بدورها على الصراع العربي – الإسرائيلي التي يمكن أن نلمسها بالآتي:

١ـ أن ثقافة العمل العسكري المقاوم لحزب الله عمل على أيجاد مقاتل عربي يملك شجاعة هائلة و عقلا عسكريا كبيرا و تكتيكا استراتيجيا عملانيا يبعث على الإعجاب،فمع تواضع الإمكانات العسكرية التي يملكها مقاتلو حزب الله قياسا بالكيان الصهيوني،إلا أنهم أحدثوا شرخا كبيرا في الميزان العسكري المختل لمصلحة الآلة العسكرية الصهيونية على حساب العرب ودليل ذلك الانسحاب المذل عام ٢٠٠٠.

٢ـ لقد اثبت حزب الله بثقافته العسكرية الجهادية التي اعتمدت على قوانين حرب الشعب وأساليب حرب العصابات ،بأنه الطرف الأقوى في ساحات المواجهات مع قوات الاحتلال، فقد حولت ضرباته الناجعة جنود ودبابات ودروع الجيش الإسرائيلي إلى أهداف صيد ثمينة أفقدت المنظومة العسكرية الإسرائيلية هيبتها ، وبالتالي اسقط نظرية الردع الإسرائيلية،و بفضل تصويبات وإصابات صواريخه في حرب ٢٠٠٦ انكشف العمق الإسرائيلي الذي لطالما حافظت عليه إسرائيل في مواجهاتها مع العرب وهذا الأمر يحصل لأول مرة في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي[٤] .

٣- اثبت حزب الله في سنوات حربه مع الكيان الإسرائيلي بأنه عمل على تغيير قواعد لعبة الصراع العربي – الإسرائيلي لصالح العرب بعد ما كانت لصالح إسرائيل وهذا يعود أساسا إلى ثقافته العسكرية و ما نتجت عنها من عمليات فاعلة ضد أهداف العدو الحيوية والتي تشكل أساس نظرية الأمن لديه ، ويبدو ان ذلك شكل دافعا أساسيا لإرغام (إسرائيل) للدخول في تفاهمات مع حكومة لبنان كما حصل في تموز١٩٩٣نيسان ١٩٩٦ وكذلك انسحابها عام ٢٠٠٠ و اعترافها بهزيمة حربها عام ٢٠٠٦.

٤ـ إن الانتصارات التي حققها الحزب أوجدت له قاعدة سوسيو ـ سياسية واسعة سواء في لبنان وخارجه الأمر الذي مكنه من تثبيت صورته كمدافع حقيقي و شرعي عن الشعب اللبناني ضد الاعتداءات الإسرائيلية، هذا الى جانب أن الحزب وحركات المقاومة الفلسطينية أصبحت تمثل عقدة الكيان الإسرائيلي لتوقيع ما يسمى مشروع

---

[١] – أمين مصطفى ، الإعصار:الانتصار الثاني لحزب الله على (إسرائيل)، ط١، دار الهادي للطباعة ،٢٠٠٧ ، ص ٥٧ .

[٢] – محمد خواجة ، خلاصات حرب لبنان و استراتيجيات الصراع ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٢٥، مركز الدراسات الإستراتيجية ، ٢٠٠٧ ، ص ١١٦

[٣] –سيمور هيرش ، مصالح واشنطن في حرب(إسرائيل)، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٢٣، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ص ٥٨ – ٥٩ .

[٤] – احمد أبو هدية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤ .

السلام الذي قبلت به غالبية الدول العربية في مقابل التزام أما الحركات الإسلامية المقاومة لا زالت تسلم بفرضية أن الكفاح المسلح يمثل افضل السبل لانتزاع الحقوق المسلوبة ، وهذا الأمر في غير صالح (إسرائيل) لأنه يعني الإبقاء على حالة الحرب.وبالتالي سلمت إسرائيل بان حزب الله يمثل طرفا فاعلا في إدارة و تسوية الصراع مستقبلا.

٥. لقد أفشلت حرب عام ٢٠٠٦ المشروع الأمريكي ـ الإسرائيلي الداعي إلى إحداث تغييرات هيكلية في منطقة الشرق الأوسط ، فالحقيقة تؤكد أن منظومة صواريخ حزب الله عرقلت بالكامل رغبة الحكومة الأمريكية التي أفصحت عنها من خلال وزيرة الخارجية آنذاك (كوندليزا رايس) إثناء زيارتها للمنطقة بأن:((هناك شرق أوسط جديد سيظهر بعد حرب ٢٠٠٦))[١]

من كل ما تقدم يمكن القول إن إرادة القتال التي أبداها حزب الله ضد الكيان الإسرائيلي ، أكد حقيقة أن امتزاج البعد الإيماني مع البعد العسكري وعلى وفق أيدلوجية المنهج الإسلامي الأصيل كفيل بتحقيق الانتصار على حساب لغة الطرف الأقوى في المواجهات وان كانت الإمكانات متواضعة بين الإطراف المتحاربة ، فحزب الله ومن خلال مجتمعه الذي يؤمن بثقافة النهج القويم للمقاومة عمل على تغيير لغة الصراع لحساب الإطراف العربية المهزومة نفسيا وسياسيا وعسكريا من أسطورة جيش الشعب المختار كما يدعى الكيان الصهيوني ، واثبت جهارا أن إرادة الشهادة كفيلة بتحقيق الانجازات التي يطمح إليها الشعب العربي منذ سنوات طويلة في مواجهة الاحتلال .

الخاتمة:

إن قراءة واقع الصراع بين حزب الله والكيان الإسرائيلي وعلى مدى أكثر من ثلاثين عاما يؤكد أن حزب الله هو الحركة الإسلامية المقاومة الوحيدة التي حققت انتصارا على الاحتلال في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي، وهذا يرجع من دون أدنى شك إلى الفلسفة التي تحرك بموجبها الحزب لمعالجة قضية الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة ، هذه الفلسفة تحددت بالفكر الذي انطلق من خلاله حزب الله وفرضه على واقع المواجهات مع الصهاينة،وهذا الفكر ارتكز بدوره أساسا على البعد العقائدي – الإسلامي الذي وجد فيه حزب الله الحل لمشاكل الأمة والذي أنتج في الأخير مفهوم (المقاومة) التي غطت مساحة تأثيرها كافة الأنشطة والأدوار التي يقوم بها الحزب في الحياة العملية خدمة منه في ذلك لإيجاد واستمرار مجتمع المقاومة والذي يمد الحزب بكل أسباب البقاء والديمومة،فالمقاومة بأبعادها المختلفة – سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وما إلى غير ذلك – مثلت ثقافة ارتبط وجودها بفلسفة حياة أفراد مجتمع المقاومة.

ألا أن تحليل مفهوم ثقافة المقاومة يؤكد أن البعد الأكثر تمييزا وتأثيرا على واقع حياة الحزب العملية ارتبط بالعمل العسكري المقاوم حتى أن كل الأدوار التي يقوم بها الحزب تكون في خدمته لأنه يرتبط أساسا بالهدف النبيل الذي أنشأ الحزب من خلاله والذي يتمثل بالجهاد في سبيل الله ضد الاحتلال الإسرائيلي،هذا الأمر كان ولازال يحتل مقام الأولوية في التفكير الاستراتيجي للحزب ولا يمكن التغاضي عنه مستقبلا،فمن خلاله فرض حزب الله نفسه رقما صعبا في معادلة الصراع ، وقد وحقق بفضله العديد من الانتصارات التي أعادت للبنان هيبته باسترداد حقوقه المسلوبة ،لابل أن قادة الحزب والكثير من اللبنانيين متيقنون أن بقاء لبنان في مأمن من الاعتداءات الصهيونية يرجع لقوة الأداء العسكري الذي يختزنه حزب الله في مشروعه المقاوم. وعليه يمكن القول إن ثقافة المقاومة في فكر حزب الله وان تنوعت أوجهها،إلا أنها أفرزت من خلال بعدها الجهادي حقيقة ناصعة

[١] – احمد أبو هدية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦ .

لا تقبل الجدل اختصرت في مضمونها أن مجتمع المقاومة يعمل دوما على أنتاج شبان مقاتلون يملكون العقيدة وحب الوطن سلاحا معنويا وقوة البندقية وضربات الصواريخ سلاحا ماديا، الأمر الذي جعل الحزب الحركة الإسلامية الأكثر حضورا في مواجهة الاحتلال وتحقيق الانتصارات .

المصادر

١- الكتب.

١- ادوارد ب.دجيريجيان، الخطر والفرصة، ترجمة د.السيد عليوة ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٩ .

٢- أروى محمود ، قتال حزب الله:الدين في مواجهة إسرائيل، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم، ٢٠٠٨.

٣- د. أمل سعد غريب، حزب الله:الدين والسياسة، ترجمة حسن الحسن، ط١،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت ، ٢٠٠٩

٤- أمين مصطفى،الإعصار:الانتصار الثاني لحزب الله على إسرائيل، ط١، دار الهادي للطباعة ،٢٠٠٧ .

٥- أمين مصطفى،المقاومة في لبنان(١٩٤٨ – ٢٠٠٠) ، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٣.

٦- د.باسمة زين العابدين،فخامة المقاوم: الرئيس إميل لحود ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ،٢٠١٠ .

٧- حسن حمادة ، سر الانتصار:قراءة في الخلفية الجهادية لحزب الله ، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، ٢٠٠١.

٨- حسن فضل الله ، حرب الإرادات ، ط٣ ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٩.

٩- حسن محمود قبيسي، الانحدار والاندحار ، ج١، ط١، مؤسسة العروة الوثقى للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٧.

١٠- حسين أبو رضا،التربية الحزبية الإسلامية: حزب الله نموذجا ، ط١، دار الأمير للثقافة ، بيروت ، ٢٠١٢.

١١- رامز رزق ، جبل عامل: تاريخ و أحداث ، ط١ ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥.

١٢- د. رفعت سيد احمد،ثائر من الجنوب ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

١٣- د.سليم الياس،موسوعة المقاومة اللبنانية ، ج٦ ، ط١ ، المركز الثقافي اللبناني للطباعة، بيروت ، ٢٠٠٦.

١٤- د. عبد الإله بلقزيز،حزب الله من التحرير إلى الردع،ط١،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦.

١٥- د.عواطف عبد الرحمن و آخرون،صورة المقاومة في الإعلام:حزب الله وتحرير لبنان،ط١، مركز الدراسات الإستراتيجية،بيروت ، ٢٠٠١.

١٦- د.غسان فوزي ، شيعة لبنان:العشيرة ـ الحزب ـ الدولة، ط١، معهد المعارف الحكمية ، بيروت ، ٢٠٠٦.

١٧- فايز الريس ، جبل عامل ارض القداسة ، ط١ ، دار الصفوة للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩.

١٨- فايز قزي ، حزب الله: أقنعة لبنانية لولاية إيرانية ، ط١ ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ،٢٠١٣ .

١٩- فرانسوا توتال ، الشيعة في العالم ، ترجمة نسيب عون ، ط١، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٧.

٢٠- فضيل أبو النصر، حزب الله : حقائق وأبعاد ، ط١، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٣.

٢١- د.فوزي زيدان ، الدولة الرهينة ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ،٢٠١٢ .

٢٢- كريم بقرادوني ، السلام المفقود ، ط١ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠.

٢٣- كريم بقرداوني ، لعنة وطن ، ط١ ، شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٠ .

٢٤- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ط٢ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٦٩.

٢٥- محمد أمين كوراني،الجذور الفكرية للمقاومة الإسلامية في جبل عامل، ط٢،دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٥.

٢٦- محمد فينش وآخرون،المقاومة والمجتمع المقاوم : قراءات في مسيرة الامام الصدر، ط١ ، مركز الامام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت ، ٢٠٠١.
٢٧- محمد مهدي شمس الدين ، المقاومة في الخطاب الفقهي السياسي، ط١،المؤسسة الدولية للدراسات و النشر، بيروت،١٩٩٨
٢٨- د. مسعود أسد اللهي،الإسلاميون في مجتمع تعددي:حزب الله في لبنان أنموذجا،ترجمة د. دلال عباس، ط١،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤.
٢٩- د. نجيب نور الدين ، أيدلوجيا الرفض والمقاومة:بحث اجتماعي سياسي في ظاهرة اللائية الشيعية، ط١ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٣٠- نعيم قاسم، حزب الله: المنهج ـ التجربة ـ المستقبل ، ط٦ ، دار الهادي للطباعة ، ٢٠٠٩
٣١- نعيم قاسم ، مجتمع المقاومة ، ط٢ ، دار المعارف الحكمية ، بيروت ، ٢٠٠٨.
٣٢- نيكولاس بلانفورد،المارد الشيعي يخرج من القمقم، ترجمة حسان البستاني و زينة إدريس، ط١،الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٢ .
٣٣- هاشم صفي الدين و آخرون،الانتصار المقاوم، ط١،المركز الإسلامي للدراسات الفكرية، بيروت، ٢٠٠٧ .
٣٤- يوسف الأغا،حزب الله التاريخ:الأيديولوجي والسياسي،ترجمة نادين نصر الله، ط١،المطبعة بلا،بيروت،٢٠٠٨.

البحوث والدراسات:

٣٥-احمد أبو هدية،الرؤية الإسرائيلية للحرب على لبنان،مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٢٣، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ٢٠٠٦.
٣٦- إحسان مرتضى،العجز الاستراتيجي الإسرائيلي والانسحاب من جنوب لبنان،مجلة شؤون الأوسط،العدد ٦٧، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ١٩٩٧.
٣٧-سيمور هيرش ، مصالح واشنطن في حرب إسرائيل،مجلة شؤون الأوسط،العدد ١٢٣، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ٢٠٠٦ .
٣٨- عدنان السيد حسين،غزو لبنان في مسار التسوية،مجلة شؤون الأوسط،العدد ٤٣، مركز الدراسات الإستراتيجية،بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٧ .
٣٩-غاي بيخور ، منظمات (التخريب) العاملة ضد (إسرائيل):دراسة إسرائيلية، مجلة شؤون الأوسط،العدد ١٦، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، ١٩٩٣.
٤٠- ماغنوس رانستوب ، الوجه المتغير لحزب الله اللبناني،مجلة شؤون الأوسط،العددان ٩٦ – ٩٧،مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت، ٢٠٠٠.
٤١- محمد خواجة، خلاصات حرب لبنان و استراتيجيات الصراع ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ١٢٥، مركز الدراسات الإستراتيجية ، ٢٠٠٧.
٤٢- محمد مراد، تطور الخيارات السياسية عند الشيعة: منذ نشأة الدولة اللبنانية حتى اليوم ، مجلة شؤون الأوسط ،العدد ١٣٢ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠٩.

٤٣- هاني عبد الله،عملية عناقيد الغضب:خلفيات التصعيد الإسرائيلي ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٥١ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ،١٩٩٦.

٤٤- هيثم مزاحم،أي مشروع سياسي لحزب الله بعد التسوية،مجلة شؤون الأوسط ، العددان٩٦ـ ٩٧ ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت،٢٠٠٠.

٤٥- هيثم مزاحم،حزب الله وإشكالية التوفيق بين الايديولوجيا والواقع ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٥٩ ، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ١٩٩٧.

الرسائل الجامعية:

٤٦- رفقة نبيل مطلق،اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة العربية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٩

٤٧- نيفين فرحان سلطان دلي،الفكر و السلوك السياسي لحزب الله اللبناني،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .